

المحاضرة الرابعة: التفسير اللساني: الخصائص والمقومات.

__ خصائص التفسير اللساني:

- __ قبول المعنى المشهور لغة وإبعاد الضعيف النادر.
- __ اعتماده على الأئمة الثقات العارفين باللغة.
- __ تقديمه التفسير الثابت على المعنى العربي.
- __ تقديمه الحقيقة الشرعية على الحقيقة اللغوية.
- __ ميله إلى الاختصار في ذكر التعليقات النحوية والتوجيهات الإعرابية.
- __ العناية بمعاني التراكيب.
- __ تنوع مصادره اللغوية.

__ مستويات التفسير اللساني:

إذا كانت اللسانيات في أبسط تعريفاتها الدراسة العلمية للغة فإنّ تحليل لغة من اللغات لا يتم إلا بعد تحديد مستوياتها اللسانية، ومن هذه المستويات ما يلي:

أ_ **المستوى الصوتي**: مستوى لساني ينظر إلى اللغة باعتبارها بنية صوتية، إذ يعالج أصوات اللغة من حيث مخارجها، وصفاتها... الخ، والتحليل اللساني للغة يبدأ بالأصوات باعتبارها العناصر الأولى التي تتشكل منها الكلمات، أو الوحدات الدالة، وهذا المجال يهتم به علم الأصوات أو علم الصوتية.

المستوى الصوتي علم الفونولوجيا الذي يعنى بالأصوات وإنتاجها في الجهاز النطقي، وخصائصها الفيزيائية.

مرّت الكتابة على مراحل وتطورات فمن الكتابة التصويرية بالنقوش والرسوم إلى أن وصلت إلى الكتابة المعروفة.

علم الأصوات في اللغة يهتم بالجانب الصوتي فيها، ويأخذ هذا العلم على عاتقه أموراً كثيرة، منها: إحصاء الأصوات اللغوية، وحصرها في أعداد وتصنيفها إلى نوعين:

ـ أصوات أو حروف أصلية أو وحدات صوتية يطلق عليها (فونيمات) وتشتمل على الأصوات الصامتة، والأصوات الصائتة (الحركات) والفونيم: يطلق على أصغر وحدة صوتية ذات أثر في الدلالة؛ أي إذا حلت محل غيرها مع اتحاد السياق الصوتي تغيرت الدلالة، واختلف المعنى في ذات وظيفة تمييزية.

ويمكن أن نتصور ذلك إذا تتبعنا سلسلة الكلمات الآتية: قاء، قات، قاد، قاس، قام، ألا نلاحظ أنّ الصوت الأخير في كل كلمة منها هو الذي يتغير فيتغير معه المعنى؟ كَتَبَ، كُتِبَ، كُنْتُبُ وهنا نلاحظ أنّ التغير في الحركات يغير أيضا في المعنى، إنّ هذه الفونيمات سواء على مستوى الصوامت أو الصوائت تمثل الهيكل الأساسي للغة، ولذا يطلق عليها فونيمات أساسية، وهناك فونيمات ثانوية تتمثل في العناصر الأدائية للأصوات بشقيها الصامت والصائت، مثل:

ـ النبر: هو إبراز جزء من المنطوق.

ـ التنغيم: تنوع في النطق حسب الحاجة ارتفاعا وانخفاضا لغرض دلالي، وهناك أصوات أو حروف فرعية يطلق عليها (فونات)، الفون: بمثابة تنوع نطقي للفونيم أو الصوت الأصلي، ولا يؤثر في الدلالة، ونلاحظ ذلك في نطق لفظ الجلالة في: بالله لتفعلن، وفي نحو قولك: والله لتفعلن، لتدرك أنّ المعنى لم يتغير وإن تغير نطق اللم والفتحة.

ولا بأس هنا أن نذكر الخصائص الصوتية التي تميز الصوت الأصلي (الفونيم) عن

غيره أو تظهر صوره الفرعية (الفونات) من النواحي الآتية:

ـ كيفية نطقها أو إنتاجها من جانب المتكلم.

ـ كيفية انتقالها من فم المتكلم إلى أذن السامع.

ـ كيفية سمعها.

ـ كيفية إدراكها.

بـ المستوى الصرفي:

بعد انتهاء المستوى الصوتي يُنظر في بناء الكلمة من حيث الصيغة الصرفية واستحضار القواعد المسؤولة عن سلامة بناء الكلمة، وهذا المجال يهتم به علم الصرف أو ما يعرف بالمورفولوجيا

المستوى الصرفي المورفولوجي الذي يعنى بالاشتقاق والتصريف، وتعد الكلمة الموضوع الأساس في هذا المستوى، فيدور البحث في أصلها، وصيغتها، ووزنها ومعرفة الزائد والأصلي من أصواتها... الخ، وقد برز مصطلح "المورفيم" ليحل محل مصطلح الكلمة في الدراسات اللغوية العامة، ويعدّ "المورفيم" أصغر وحدة ذات معنى والمعاني التي يعبر عنها المورفيم معانٍ وظيفية تحدد نوع الكلمة من حيث الاسمىة والفعلية أو نوعها من حيث التذكير والتأنيث، أو عددها وغير ذلك. وتنقسم المورفيمات إلى نوعين أساسيين:

— **المورفيم الحر**: الذي من الممكن أن يأتي مستقلا مثل: (ض ر ب) في ضربت، وغير ذلك مما يسمى بالأصل والجزء.

— **المورفيم المقيد**: الذي لا يأتي مستقلا بنفسه، وإنما يستعمل مع غيره، مثل: السوابق واللاحق، والدواخل على الكلمة.

— **مورفيم صوتي**: حيث يتحقق وجوده صوتيا، ويظهر هذا المورفيم في إضافة عنصر صوتي يتكون من صوت واحد أو مقطع، وفي تبادل الأصوات الصائتة أي تغير الحركات دون إضافة عنصر صوتي جديد، ويظهر في عنصر من عناصر الأداء كالتنغيم والنبير والوقف.

— **مورفيم الصفر**: فهو لا تظهر له علامة صوتية دائما وإنما يستدل على وجوده من المعنى الوظيفي أو الاستتار أو الحذف.

جـ **المستوى النحوي (التركيبى):**

يحدد التركيب كونه تلك الدراسة التي تعرض صيغ اللغة، أو أجزاء من الخطاب تأليفا وتركيبا، والتركيب مستوى من مستويات التحليل اللسانية الحديثة؛ وهو فرع من فروع علم اللسانيات إلى جانب فروع أخرى منها: الدلالة الصوتية، المعجم.

وهو علم دقيق مجاله الجملة تأليفا وتركيبا؛ إذ هو علم يهتم بدراسة العلاقات التركيبية لما يميزه عن المجالات الأخرى لعلم اللغة، وقد أشار الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه الشهير _دلائل الإعجاز_ إلى أن نظرية النظم تهتم بالجملة العربية وذلك من طريق ملائمة اللفظة لمعنى يليها، وتعليق الألفاظ بعضها ببعض، أي تركيبها وذلك بربط كل جزء من أجزاء الجملة بالآخر، وترتيب الألفاظ في الجملة أي وضع كل جزء في مكانه المناسب، ولقد تعددت النظريات الحديثة تجاه الجملة، وحاول المحدثون وضع تصور لتحليلها يفيد أكبر قدر من لغات العالم وأشهر مذهبين هما:

المذهب التركيبي: يرجع الفضل في تأسيس هذا المذهب إلى رائد علم اللغة الحديث (دو سوسير) وقد ظهرت من خلال هذا المذهب طرق عديدة في التحليل اللغوي؛ وهي: تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة.

ويرتبط هذا التحليل بالمدرسة الأمريكية ورائدها "بلومفيلد" ولا تنظر هذه المدرسة إلى الجملة على أنها كلمات متتابعة أفقيا، إنما على أنها طبقات من المكونات الكبرى المتراكمة بعضها فوق بعض، وتحليل الجملة إلى عناصرها المباشرة: ويمثل هذا الطريق "هارس" وتقوم فكرته في التحليل على أساسين هما (التصنيف والمعاقبة).

مذهب التحليل التوليدي التحويلي: تُنسب هذه النظرية إلى (نعوم تشومسكي) وقد مرّت هذه النظرية بمرحلتين: مرحلة التوليد: يقصد بها أن يكون للقواعد التوليدية القدرة الذاتية على تمييز الجمل الصحيحة من سواها. ومرحلة التحويل: تعد أن معظم الجمل لها تركيبان (باطني وخارجي).

د_ المستوى الدلالي:

يقصد به في إطار النظرية اللسانية العامة "تلك الدراسة التي تعرض معاني الكلمات والمركبات والجمل والتعبيرات، وحقولها وعلاقاتها الدلالية، فالتغير الدلالي ظاهرة طبيعية نجدها في مباحث المجاز، إذ تنتقل العلامة اللغوية من مجال دلالي معين إلى مجال دلالي آخر، وقد تتخلف الدلالة الأساسية للكلمة فاسحة مكانها لدلالة سياقية أو لقيمة تعبيرية أو أسلوبية، وبذلك تغدو الكلمة ذات مفهوم أساسي جديد ويستمر التطور الدلالي في حركة تتميز بالبطء والخفاء. ويتغير المعنى وينزاح المفهوم ليحل مكانه مفهوم آخر، إننا نسمي الأشياء ونغير المعنى لأنّ إحدى المشتركات الثانوية ليس لها قيمة تعبيرية، أو قيمة اجتماعية فتنتقل الكلمة الدلالية تدريجياً إلى المعنى الأساسي، وتحل محلها فيتطور المعنى. "وتنتقل الكلمة من الدلالة الحسية إلى الدلالة التجريدية نتيجة لرقى العقل الإنساني، ويكون ذلك تدريجياً، ثم قد تندثر الدلالة الحسية فاسحة مجالها للدلالة التجريدية، فالنمو اللغوي لدى الإنسان الأول عرف في بداية تسمية العالم الخارجي الدلالة الحسية فحسب، ومع تطور العقل الإنساني انزوت تلك الدلالات الحسية محلها الدلالات التجريدية، واللغة تقوم بتعديل بعض الكلمات لما لها من دلالات مكروهة يمجّها الذوق الإنساني؛ وهو ما يعرف باللامساس، ويخضع ذلك لثقافة المجتمع ونمط تفكيره وحسّه التربوي، فيلجأ المجتمع اللغوي إلى تغيير ذلك اللفظ ذي الدلالة المكروهة والمموجة بلفظ آخر ذي دلالة يستحسنها الذوق، فكأن اللامساس يؤدي إلى تحايل في التعبير أو ما يسمى بالتلطف؛ وهو إبدال الكلمة الحادة بالكلمة الأقل حدّة، وهذا النزوع نحو التماس التلطف في استعمال الدلالات اللغوية هو السبب في تغير المعنى. وتخصيص الدلالة يعني تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضيق مجال استعمالها، أما تعميم الدلالة فمعناه أن يصبح عد استعمالات الكلمة كثير، ويصبح مجال استعمالها أوسع.

أما رقي الدلالة وانحطاطها فيدرج تحت مصطلح "نقل المعنى" إذ قد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في سلم الاستعمال الاجتماعي، بل قد تصعد الكلمة الواحدة إلى

القمة وتهبط إلى الحضيض في وقت قصير، مثال ذلك: "كانت دلالة طول اليد كناية عن السخاء، والكرم، والجود؛ وهي قيمة عليا، لكنها اليوم أضحت وصفا للسارق إ يقال: هو طويل اليد.